

## التربية المدرسية و"تعلم الخدمة"



المركز التربوي للبحوث والإنماء  
مقرر عام مادة التربية الوطنية  
والتنشئة المدنية  
ميشال بدر

"الخدمة عمل يقوم به الفرد لينتفع به غيره، ومنه الخدمات الاجتماعية وهي الأعمال التي يقوم بها الأفراد للوفاء بما يحتاج إليه أبناء جنسهم من الأمور الضرورية لحياتهم... فالخدمات إذاً أعمال ووظائف نافعة في حفظ حياة المجتمع وتنميته وتكون عامة تتولاها الدولة أو خاصة يقوم بها الأفراد وتتناول الخدمات الصحية، الاقتصادية، التعليمية، الخ... (١) وهي باختصار ما نقدّمه من دعم ومساعدة مادية أو معنوية لمن هم بحاجة، عفواً أو بناء على الطلب، بما يكفل لهم العيش بكرامة في إطار قيمتهم الإنسانية.

و"الخدمة" ليست بدعة جديدة أو ترفاً مستحدثاً. فقد عرفتها المجتمعات القديمة واعتبرتها حقاً للمحتاج على غيره من القادرين، أفراداً كانوا أو جماعات أو مؤسسات. كما عرفها مجتمعنا اللبناني غيرة، إقداماً، تضحية و"عونة" كانت وما زالت سلوكاً نعيشه ونعيشه، نحرص عليه ونفاخر به، وإن اختلفت التسمية والمجالات، كقيمة اجتماعية وإنسانية نسعى إلى المحافظة عليها وتنميتها وتعزيزها، لتشمل مختلف المجالات وجميع الناس دون تمييز، أيا كانوا. فالخدمة كالحبة التي عرفها الأديب والشاعر سعيد عقل بأنها تشمل كل الناس، إن استثنينا منهم واحداً بطلت. بهذا الهدف كان الحرص على أن يكون "تعلم الخدمة" واحداً من غايات المناهج التعليمية.

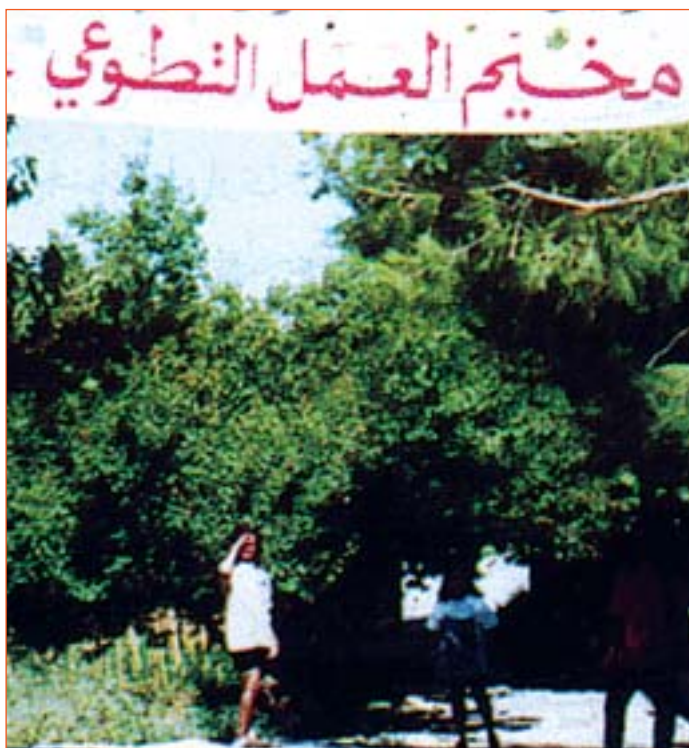
### الوسائط المؤثرة في بناء شخصية الطفل

للحياة الاجتماعية العملية خارج المدرسة. وأن يكون ما سيواجهه التلميذ لاحقاً في المجتمع امتداداً لما تعرّف إليه داخلها، ما يساعده على الانخراط الصحيح في الحياة الاجتماعية، والتعاطي الواعي

يشكّل المنزل والمجتمع والمدرسة وسائط ثلاثة مؤثرة في بناء شخصية الطفل وإعداده للحياة. فكما يتأثر الطفل بالجوّ السائد في منزله وعائلته، فإنه يتأثر كذلك بالجوّ الذي يعيشه في مجتمعه وفي مدرسته مع أساتذته ورفاقه. فمن واجب المدرسة، في هذه الحالة، تأمين المناخ الملائم لتحقيق نمائه بالشكل المناسب، وذلك بتوفير التربية الصحيحة له، والتي عرفها عالم الاجتماع الفرنسي مرسال موس (٢) بأنها "العملية التي يضاف بواسطتها الكائن الاجتماعي والأخلاقي إلى الكائن الحيواني والفرد في القائم في كيان كل منا". فما هي إسهامات المناهج التعليمية الجديدة في مجال "تعلم الخدمة"؟ وهل يمكن للتربية المدرسية بمفردها تحقيق أغراض هذا التعلم؟

### غايات المناهج واهدافها

إن إعداد الطفل للحياة الاجتماعية، وتعزيز تحسسه مشاكل مجتمعه واهتمامه بها، يشكّلان أحد أغراض التربية في المجتمعات الديمقراطية. لذلك، فقد دعت المناهج الجديدة، الصادرة بالمرسوم رقم ١٠٢٢٧/٩٧، إلى أن تكون المدرسة صورة مصغرة عن المجتمع تستمد منه مادتها وحياتها، بحيث تشكل الحياة الاجتماعية التي يعيشها التلميذ داخل المدرسة ومع الرفاق نموذجاً



مخيمات التطوع إطار منظم لتعلم الخدمة

### التنشئة المدنية وتعلم الخدمة

تمت ترجمة المبادئ والأهداف المشار إليها على مستوى المواد الدراسية من خلال مضامين وأنشطة تراعي خصوصية كل مادة وتلائم مع طبيعتها ودورها. وقد شكّلت مادة التربية الوطنية والتنشئة المدنية، بمرکزاتها الأساسية الأربعة (المجتمعية، المدنية، الوطنية والإنسانية)، المحاضن المناسب لمفهوم الخدمة في تعريفاتها ووظائفها ومجالاتها. فتعرّف المتعلم من خلال محاور رئيسة تطرقت إليها المادة الى الفرد والجماعة والمجتمع، والحقوق والحرّيات، كما على القيم الإنسانية والديمقراطية والاجتماعية والحياة المشتركة والتضامن بين الناس، إضافة إلى المؤسسات والمنظمات والجمعيات وهيئات المجتمع المدني والأهلي والنقابات ودور كل منها ومجالات الخدمة التي تقدمها.

كما شغل موضوع توعية المتعلم على واجبه ودوره كمواطن في دعمها ومساندتها والانخراط فيها حيزاً مهماً، وذلك على خلفية الفائدة التي توفرها له وللمجتمع. فتم تعزيز هذه المعارف من خلال أنشطة صفيّة ولاصفيّة متعددة، تراعي غايات التربية الوطنية والتنشئة المدنية وأهدافها بما هي إغناء معرفي بهدف استثمار سلوكي، وترتكز على ثابتة أن يتم التعليم على أساس العمل، مما يتيح الفرصة للتلامذة لاكتساب الخبرة عن طريق التجربة والاختبار.

شكل المتعلم، وفق المناهج التعليمية الجديدة، محور العملية التعليمية/التعلمية، لا مخزناً للمعلومات ومتلقياً لها، وذلك من خلال طرائق تدريس ناشطة تحمله على وعي المشكلات والمسائل المطروحة وتحسسها ومعالجتها بشغف، لأنها تدخل في خانة اهتماماته وقناعاته وسعيه. فيحددها ويحللها ويربط فيما بينها وقيّمها ويتخذ المواقف الموضوعية والواقعية منها. كما تمّ إفساح المجال واسعاً أمام التلامذة للتعبير عن أفكارهم بوعي والتزام يؤديان إلى انخراطهم الحر والواعي في أعمال وأنشطة ونوادٍ تفتقر التكافل والتضامن والتعاون وتبادل الأدوار للنجاح، وذلك في مجتمع مدرسي يعكس صورة مصغرة عن المجتمع الخارجي. على هذه الخلفية تشكل المدرسة مؤسسة الإعداد للمواطنة بامتياز، ومن واجبها تحويل الأفراد المكونين للجماعات إلى مواطنين مساهمين ومنخرطين في المواطنة ببعديها الوطني والإنساني التزاماً وممارسة.

والملتزم مع قضايا المجتمع الذي يعيش فيه.

لذلك ركّزت المناهج الجديدة في اهدافها العامة ومبادئها على ضرورة إعداد التلميذ وتنمية ميوله وتوجيه استعداداته إلى الخير من خلال تربيته وتنشئته ليكون منفتحاً على القيم الإنسانية ملتزماً بها، كما على الإيمان والالتزام بالعدالة الاجتماعية والمساواة، مشاركا في العمل الاجتماعي والسياسي، بما يحقق المصلحة العامة من خلال مفهوم المشاركة بين المواطنين. كما أكدت على ضرورة تكوين المواطن الصالح من خلال تنمية روح التعاون والانتظام لديه وتنشئته على القيم والعادات السلوكية الحسنة.

تمت ترجمة هذه الأهداف في الهيكلية الجديدة للتعليم العام والمرسوم رقم ١٠٢٢٧ / ٩٧ و تفاصيله على مستوى المراحل التعليمية الثلاث، من خلال محتوى معرفي وأهداف إجرائية وأنشطة تطبيقية، تراعي قدرات المتعلم ومستواه الإدراكي ونموه العقلي وضرورات توجيهه الإنساني والاجتماعي. فكانت إكساباً للقيم الإيجابية تجاه الآخر، في المرحلة الابتدائية، سواء أكان هذا الآخر فرداً أم جماعة أم شعباً. وتدرجت في المرحلة المتوسطة لتصبح تعزيزاً لثقة المتعلم بنفسه باعتباره فرداً مستقلاً في تفكيره، مقبلاً على التعاون والانخراط الاجتماعي، موازناً بين حريته ومسؤولياته. أما ختامها في المرحلة الثانوية فكان إدراكاً لأهمية القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية وممارستها بمسؤولية.



التطوع في خدمة البيئة

المدرسي دون سواه؟ الجواب البديهي هو لا، إذ إن التنشئة الاجتماعية كما عرفها عالم الاجتماع الكندي غي روشيه (Guy ROCHET) هي: "سيرورة يتعلم الإنسان من خلالها ويستبطن طيلة حياته العناصر الاجتماعية / الثقافية المتعلقة بمحيطه الاجتماعي ويدمجها في بنية شخصيته، نتيجة تأثير الوسطاء والتجارب المؤثرة في المجتمع، مما يجعله عضواً فاعلاً في المحيط الاجتماعي حيث يعيش" (٣). ويمكن القول بالتالي إن مسؤولية إعداد المواطن الصالح سعي مستمر ومسؤولية مشتركة لجميع الفرقاء.

وإملا أن تكون المدرسة، إلى جانب سائر الوسطاء، فعالة "لتعلم الخدمة"، كما نرجو أن تعزز المناهج الجديدة بمختلف مكوناتها وتطبيقاتها مفاعيل هذه الوساطات، لتكون الخدمة وتعلمها وممارستها من قبل تلامذتنا خياراً واعياً ومسؤولاً يقدمون عليه بحرية وقبول، لا أن يكون تعلماً بهدف التعلم وتخزين المعرفة فقط، بل التزاماً واعياً وانخراطاً مسؤولاً. لأن في تعلم الخدمة وممارستها غلبة لنا على الكائن الحيواني والفرداني القائم في كيان كل منا، كما فيها الغلبة على أنانيتنا وفرديتنا وشخصائيتنا.

فهل نحن مستعدون لقبول هذا التحدي؟ ■



التطوع من أجل إنقاذ الآخر

هذا باختصار، بعض ما سعت المناهج الجديدة إلى تحقيقه على مستوى ترسيخ "تعليم الخدمة" فهماً وممارسة وسلوكاً، وتعزيز الرابط بين المعرفة والسلوك، دون تمييز. إذ بدون البعد المعرفي يصبح السلوك أداة لفرض السيطرة الاجتماعية.

وما يدعو إلى الاطمئنان مبادرة عدد لا بأس به من المدارس، وفي مختلف المناطق اللبنانية، إلى إيلاء موضوع الخدمة ما يستحق من اهتمام، فسعت بجد إلى وضع المعطى النظري موضع التطبيق والممارسة من خلال جماعات وأندية مدرسية تعنى بالعديد من المواضيع البيئية والصحية والاجتماعية والتربوية وما إليها، وذلك بالتعاون بين الإدارة والأساتذة والتلامذة والجمعيات المعنية والمختصة خارج إطار المدرسة، مما يؤسس لتعاون وتكافل مرغوبين وضروريين بين مختلف الفئات المكونة للمجتمع اللبناني.

ويبقى السؤال، هل يمكن أن تتحقق عملية التنشئة الاجتماعية بما فيها "تعليم الخدمة" ضمن فترة زمنية محددة ومحدودة، وفي الإطار

#### المراجع:

- المركز التربوي للبحوث والإثراء، الهيكلية الجديدة للتعليم في لبنان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥
- المرسوم رقم ١٠٢٢٧/٩٧، تاريخ ١٩٩٧/٥/٨، تحديد مناهج التعليم العام ما قبل الجامعي واهدافها.
- التربية المدنية في الوطن العربي، قضايا وإشكاليات، منشورات الشبكة العربية للتربية المدنية، عمان - الاردن، ٢٠٠٢.

#### الهوامش

- (١) د. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، منشورات الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٤، ص ٥٢٦.
- (٢) Marcel MAUSS عالم اجتماع فرنسي (١٨٧٢-١٩٥٠).
- (٣) القيم والمشكلات الاجتماعية، سلسلة الكتاب المدرسي الوطني، السنة الثانية الثانوية، فرع العلوم، طبعة ثانية، ٢٠٠٢، ص ١٥.